إبداعات

ملف من إعداد: عبد الحقّ لَبْيَض، مراسل الآداب في المغرب

في مغربنا الضاجّ بخطابات الزيف السلطويّ، والمشبع بثقافة الوهم، والمتدثّر برداء الخوف من مواجهة سؤال التغيير بفعل قرون من القهر والطغيان، أدركتْ نخبةٌ من شبابه وشاباته أنّ العبور إلى ضفاف التغيير قد يتمّ بصناعة الخيال والتخييل، وبوهج الكلمة الصادقة المتدفّقة بكلّ ألوان الخيبات التي يعيشها المغربيُّ الحالمُ باسترداد الكثير: كرامةٍ مفقودة، وإنسانيّةٍ مبتورة، ووطنٍ مسروقٍ ومطويّ في ملفّات سريّة.

في كثير من هذه النصوص وهجٌ يكاد أن ينْظمَها: إنه وهجُ الألم، الباحثُ عن لحظة استعادة بريقه الأصليّ في وطنٍ يحتضن أحلامَ أبنائه بدلًا من أن يدفعهم إلى ركوب قوارب الموت أو الارتماء في أحضان اليأس. في هذه النصوص، ندرك أنّ الأدب حيّ فينا رغم كلّ محاولات الإبادة التي يتعرّض لها من طرف جهاز سلطويّ أفرغ الوطنَ من قيمه الجميلة واستبدلها بقيم الانتهازيّة والتملّق والتزييف والفلكرة والتهريج.

ع. ل.

المشاركون (الفبائيًا)

إدريس علّوش	فاتحة مرشيد
جمال الموساوي	كمال أخلاقي
طه عدنان	محمد اشويكة
عبد الجواد العوفير	نبيل منصر
عبد العزيز الراشدي	وفاء مليح
عبد اللطيف الوراري	ياسين عدنان

محمد اشويكة
قاصّ وناقد سينمائيّ، من مواليد ١٩٧١. يشتغل أستاذًا للفلسفة. صدر له في القصة القصيرة خمسُ مجموعات قصصيّة، وتجربتانِ في مجال القصة الترابطيّة، فضلًا عن دراستين حول القصة القصيرة. أما في النقد السينمائيّ والصورة، فله خمسُ دراسات.

ڤِيتْرِينُوس

قبل الخروج إلى مشواري الخاصّ، قرّرتُ تعميدَ نفسيَ بماء خاصّ، في حمّام بربريّ كنتُ قد قرأتُ إعلانًا خاصًّا عنه في أحد المنشورات الخاصّة جدًّا: تدليك بزيت الأركان العجيب، وأنوار شموع، وموسيقى روحيّة فريدة. كان جسدي الرهيف في حاجة إلى كلّ ما يساعده على الارتخاء: أيد ناعمة، متخصّصة في التدليك، جعلتني أتذوّق مزايا الصابون الأسود الممزوج بزيت العود الأصيل. أحسستُ بأنّ جسدي يتحلّل، استعدادًا لتغيير الجلدة الزائدة، وتنظيف الخلايا والمسامّ. زيوت طبيعيّة، أعشاب عطريّة وطبّيّة. لا يمكن أن أنسى الأيدي التي عبثتْ بكلّ شيء في جسدي النحيل، الذي ينتظره أسبوعٌ صعبٌ من الظهور.

كان لزامًا أن أخضع لهذا التدليك. ترياقُ البصمات يتسلّل إلى دواخلي الرهيفة. أُحِسُّنِي كالغيمة الباردة التي فقدتْ رطوبتَها فوق جبال الأطلس، فعمّت السخونةُ كلّ الأمكنة. دماغي الصغير في حاجة إلى الصمت. كنتُ أتمنّى ألّا يكتشف الإنسانُ اللغة، أو أن يكون كائنًا يعبّر بالغناء؛ فقد أتعبتني الثرثرةُ والتفاهة، وأنا المُعَلَّقُ يوميًّا على الواجهات. يغمغم الناسُ أمامي من دون أن ينتجوا معنًى. يرطنون من الصباح حتى المساء من دون أن يرحموا جمجمتي المتقلّصة. تقهرني الأشعّةُ والانعكاسات. تُخَدِّرُني خلطاتُ سوائل التنظيف. يمَدِّدُني دعكُ المنظّفات المقهورات للزجاج الأملس:

- زِيطْ زِيطْ زِيطْ.. زيييييييييط.. زيييييييييط...

ولأنّ وحدات سُلَّمِي الصّوتيّ لا تخترق أيّ جدار، ولا تُلْقَى من أيّ منار، ولا تتوفّر على توابل الإبهار، فلا يسمعني إلّا ذوو الحساسيّات الخلّاقة المرهفة الذين فقدوا أيّ رغبة في اعتلاء منصّات القول. آتيهم كما يشتهون: صوتًا ناعمًا، مناسبًا لوضعيّاتهم. قد أكون آهة، زفيرًا، شهيقًا، موّالًا، أنينًا... هل تتصوّرون كلّ تلك الأصوات الصادرة عن جسم بحجم الخليّة؟

أنا الخليّة، أنا ساكنها. إلهٌ في خليّة غير قابلة للانقسام! آخِرُ جُسَيم صغير مُتَبَقٍّ بعد أن تفتّتت الأشياء. كنتُ، رابضًا، أشيد حضارة الواجهات زجاجةً زجاجة. كلّ شيء في الزجاج.

الشفافيّة للجميع... تمامًا كما أرى نفسي. لا شيء يحجب دواخلي البلّوريّة. لا يحرجني أن أصرّح بممتلكاتي الخاصّة، وأعضائي الحميمة. هدفي أن يصبح الإنسان شفّافًا كآلة زجاجيّة تسهل رؤيتُه من كلّ الجهات. تَعْبُر الرؤية إلى ما وراءه. كُلُّ واحد يرى ما بداخل الآخر: كميّة الحب، كيمياء العقل، حجم الكراهية، حيوانات اللذّة، درجات السخونة والبرودة، تفاصيل الأحلام، مسارات الكذب، احتياطيّ القلق. أحلم بالإنسان الأكواريوم: كلّ شيء يسبح في انسجام!

اكتشفتُ أنني أحبّ نفسي قبل مخلوقاتي. أراقبها بشكل رهيب. أتتبّع تلك التي تَنْشُدُ التميّزَ عن الناس العاديين، الباحثة عن الانتماء إلى النخبة، المتمادية في إعادة إنتاج سلوكات الطبقة التي تدّعي الانتساب إليها، وما دونها حقيرٌ وبئيس، مخلوقات لا تجيد الحديث، أسلوبها يفتقد

إلى اللياقة، تجلس كأكياس الطحين، تأكل كالبقر، تخلط ما لا يجتمع.

أرى هذا ولا رأي للعباد...

يتظاهرون بما ليس فيهم. يريدون التأثير في كلّ شيء. يدّعون الغنى. لا يستطيعون الابتعاد عن أماكن الاستعراض. لا يتركون أيّ فرصة لإثارة الانتباه. يحملقون في كلّ الاتجاهات. يعلّقون في آذانهم أشياء، وفي أنوفهم أخرى، وفي أصابع أيديهم الكبرى والصغرى يضعون بعض المُوتِيفَات. يصبغون الوجه والشعر بكلّ الألوان. يُقَبِّلُون أيادي النساء وهم ينحنون حَدَّ الانطواء. لا يتردّدون في إخراج المناديل والمناشف ـ بدون مناسبة ـ من كلّ الجيوب التي تغزو ألبستهم الخفيفة وكأنهم يلبسون الجيوبَ أصلًا!

أراهم يضعون كلّ شيء أمامهم حين يركنون إلى طاولة، وما أكثر الجالسين! كلّ المدينة جالسة. يُظهرون هواتفهم المحمولة، حواسيبهم الشخصيّة، أكسسواراتهم الإلكترونيّة وغير الإلكترونية، ساعاتهم اليدويّة. تتفنَّنُ النساء في إبراز بعض الأجزاء الحميمة من أجسادهنّ بِشَبَقٍ متقاطر من العيون والمسامّ وكلّ الثقوب. أراهنّ يلبسن التنُّورات القصيرة من دون تُبَّان، والقمصانَ الشفّافة من دون حمّالات نهود.

صوَرٌ يصعب أن تزول من مخيّلتي الميليمتريّة. يثرثرون، يستمعون إلى موسيقى صاخبة تتطاير أصواتُها من السمّاعات الغائرة في آذانهم. يدردشون في غرف التشات الإلكترونيّة. ينشرون صورهم. يتبادلون «اللاَّيْكَات.» ينشرون مقاطع الفيديو الخاصّة بهم على اليُوتيوب. يبعثون سَقْسَقَاتِهم الملغزة بشكل مسترسل. لا يتعبون. يقترفون كلّ شيء كي يراهم الآخرون.

أحيانًا، يتسرّب التعبُ إلى كياني. ما قيمة كلّ هذا التواري خلف الزجاج؟ لم لا أكون كهؤلاء؟ أتذكّر حجمي، فأكاد أغرق في عرقي وأندحر نحو الأسفل. أتشبّث بالمُلُوسَة وأصعد كي أتمتّع بالرؤية. أجدني مُنْشَدًّا ومتمتّعًا بما أرى. شيءٌ ما يصلني بهؤلاء. أحسّ بأنني أرعاهم وأحرسهم. أتجسّس على حميميّتهم وعُرْيِهم، فأبتهج أيّما ابتهاج. تمنّيتُ أن يروني كذلك لنتبادل الشغف وتكتمل اللذة، لكنّ حقيقتي تمنعني من الظهور.

عندما يقف أحدُ المارّة أمام الزجاج كي يرى السلعة المعروضة، أرْقب حركاته. وحين يطيل النظر أخاف من حَمْلَقَاته. أظنّ نفسي داخل قفص زجاجيّ يتيح المشاهدة لمن يستطيع الدفع، فأقوم بأوضاع شبيهة بتلك التي تقوم بها نجمةُ العروض في مَشَاهِد الـ«Peep-show». أعرض الوضعيّات بالدقائق. أُسَرِّبُ المتعة عبر الثقوب. لا أرى مَن يراني. ولا أفكّر في إحساسي بعد انتهاء العرض. ينتابني شعور يختلف عن ذلك الذي يعشق السينما رغم أنها فَنّ يعتمد على شهوة البصر. لا يهمّ من يراني.. ولا يضيرني أن أراه.

كنت أتمنّى، دائمًا، أن يكتشفني مخرجٌ سينمائيّ أو أديب أو رسّام، فَيُخَلِّدني في عمل فنيّ يُظهرني في مختلف الوضعيّات التي يحبّ النجومُ أن يقدّموا بها أنفسَهم للناس: معطفٌ واقٍ من المطر وقبّعة سوداء.. باروكةٌ وماكياجٌ وحلاقة تطول الرموش والحواجب...

قد يعتقد البعض أنني أعيش الوهم، أو أسعى إلى الشهرة السريعة، أو أرغب في أن يكون لي أتباعٌ أستغلّهم في جلب الانتباه إلى شخصي. لكنّهم سيؤكّدون لكم بأنفسهم أنني أراهم من بعيد، أعرض نفسي في مكان عموميّ وشفّاف. أؤكد لكلّ المتهمين أنّ هدفي نبيل: تعليم فنّ الحياة للنساء والرجال؛ فهم مساكينُ يعيشونَ فِي كَمَدٍ انطواءَاتهم.

كي أطمئنكم: اعتبروا ذلك مجرّدَ وسواس.. هذياناتٍ عُصَابِيَّة.. ردودَ أفعال أرغب من خلالها في انتزاع ابتساماتكم وأنتم تمرّون كالنمل أمام الزجاج... اعتبروها هواجس عابرة لِكائنٍ يرغب في تمرير الحضارة عبر الزجاج. أنا من زُجاج. كلّ شيء يبدأ من الزجاج ويعود إليه. وقد استطاعت الطبيعة أن تبلورني حين اختلط الرملُ بالنطرون تحت تأثير النار. أتحوّل إلى أشكال مختلفة بفعل النفخ. أنا جامعٌ لكلّ العناصر الأولى. أنا من موادّ توجد في أجسادكم التي أتفرّج على بهرجتها بشكل دائم. لم تكن مهمّتي سهلة. كلّ الآلهةَ خلقوا ما أرادوا وأسّسوا أساطيرهم وارتاحوا، إلّا أنا. لا أعرف من الذي غَيَّرَ سلوككم الأول: أليس العري هو السليقة الأولى؟!

مساري طويل في الترويض. خُضْتُ حروبًا ضاريةً ضدّ مخترعي اللباس وفقهاء الحشمة. فقدتُ جسمي، عضوًا عضوًا، إلى أن بقيتْ بعضُ الخلايا التي اندمجتْ في خليّة واحدة هي أنا. كنتُ أحتمي بالزجاج. عبره يتسرّب النور، الدفء، الغذاء. ساعدتني طبيعتي الميكروسكوبيّة على المقاومة بفعل تكاثف جهود بكتيريا وڤيروسات وفطريّات صديقة. تحدوني رغبة جارفة في أن يصبح كلُّ شيء داخل الزجاج. ألم تلاحظوا ناطحاتِ السحاب وناطحات الشمس التي تعلوها الخوازيق؟! كلها زجاجٌ في زجاج. وأنتم أيها البشر؟ رجالُ الموضة رُسُلي، سيُعرُونَكم رويدًا رويدًا. يُقَشِّرُونكم قشرةً قشرةً كالبصل. سيخفّفون عنكم أوزارَكم التي لا عهد لكم بها. عجيب! أسعى إلى تحريركم وما أنتم لذلك بمُقْرِنين!

أنا، الآن، مستمتع بكم. مَزْهُوٌّ بشبابكم رغم أنّ أيّامي بينكم معدودة. اخترعتم لأنفسكم كلَّ ما يجعلكم ترون كلّ شيء بينكم. معزولون في غُرَفكم، تتفرّجون بعضكم على بعض. يا للمتعة! تفرّجوا...ارقصوا. أنا أيضًا أرقص كي لا أصبح موجودًا.

أنتم استمراري... انتشروا... سيروا... أنا أيضًا أسير كي يتوقف مصيري. أنتم مصيري... يا لَذَّتي!

تمتّعوا... اشتهوا... أنا أيضا أشتهي كي تنقطع هواجسي.

أنتم هاجسي...

أراكُم ولا تَرَوْنَنِي...

وحدي أتضاءل.. أنكمش. أنا ڤِيتْرِينُوسْ. أسقط، الآن، في الظلام، من أجل أن يستمرّ النورُ...

نُورُكُم نُورِي.. نُورٌ نُورٌ.. نُورٌ على نُورٍ...

تركتكم في النور...تواريتُ خلف النور.

مراكش

خدّوجَة

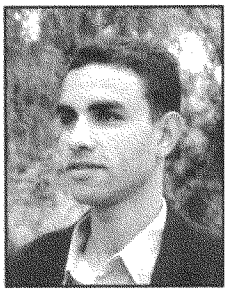

عبد العزيز الراشدي
مواليد ١٩٧٨. حاصل على الإجازة في الأدب العربيّ وعلى ماجيستير في علم النصّ. أصدر ثلاث مجموعات قصصيّة: **زقاق الموتى** (٢٠٠٤)، **وطفولة ضفدع** (٢٠٠٥)، **ووجع الرمال** (٢٠٠٧). وله رواية، **بدو على الحافة**. بالإضافة إلى نصوص تحت عنوان **غرباء** (٢٠٠٩). حصل على العديد من الجوائز والمنح الأدبيّة، من بينها: جائزة اتحاد كتاب المغرب. وجائزة الشارقة العربية في مجال الرواية بالإمارات. كما تمّ اختياره مؤخّرًا ضمن لائحة «بيروت ٣٩» لأهمّ لكتّاب العرب الشباب، بلبنان.

الطريـق طويلـة والوقت فجر، ولا بدّ للطفـل أن يقود الأعمى. يَصـعدان ويهبطان مع العقبـات. الطفـل يقيس المسـافةَ بالعين، والأعمى يقيسـها بالذاكرة. قد لا تُفضـي الدروبُ الطينيّة الطويلة التي يسـيران فيها إلى مصـير، لكنّ المسـافة تموت عند كلّ فجـرٍ في اتجاه السـوق الأسـبوعيّة. لا يهتمّان لبـردٍ ولا لغريب؛ ذلـك لأنّ البهجة في اختلاطهما، وفي تذكّر أصواتِ الباعة، وفي حماسهما للبيع والشراء.

كلَّ يوم يقصـدان مكانًا مختلفًا: الاثنين سـوق أعلى الريح. الثلاثاء سـوق تيمضاض الأمازيغيّة. الأربعاء سوق فم الحسن. وهكذا. ثم إنهما يسيران؛ وفي السير كفايةٌ لمن لا يريد سـوى تأمّلِ وجوهِ الحياة، كما يحدث للصـبيّ الذي يبدو أكبر من سِنّه بالشعر الكثيف والطول الفارع. يسـيران، فيخدعُ الصـبيُّ نفسَـه في الطريق بقوله إنني أقودُ عمّي كما أقود درّاجة وأسـتمتع، وحين أكبرُ سـأبني لنفسي بيتًا وأصبح تاجرًا وأتزوّج خَدّوجَةَ ابنته. ورغم أنه لم يَسُـقْ درّاجة فإنّه يسـتطيع أن يتخيّل نفسـه وهو يركبها: سـوف يتّكئ على الحائط في الأيّام الأولى، وبعدها سيسـوقها بلا مشـقّة، وسيصيح بالأطفال أن يبتعدوا كي لا يدهسـهم لأنّ أسـلاك الكابح مقطوعة، فيهرب الجميعُ... إلّا خَدّوجَة التي تشاكسُه وتقف برهةً أمامه، حتى إذا اقترب منها زاغت.

أما الأعمى فلا ينظر إلى أمام. وهو لا يتحسّـس جسـدَه بسبب الجلابيب الكثيرة التي تَحْرصُ العجوزُ على أن يرتديها كأنّه صبيّ؛ وحين يضجر تُذكّره بعماه وضعفه، وبأنها أمُّه التي تخاف عليه. يسـير وهو يكاد لا يشـعر سـوى بشـعر الصـبيّ يطمئِنه إلى أنه يمشي معه. لم يفقدِ البصر سوى متأخّرًا. كان قد بدأ يرى ظلالَ الأشياء، ومع الوقت أصبح يتحسَّسها ولا ينظر إليها. لم يعدْ يعرف معنى النظر؛ كلمةٌ أصبح يتذكّرها مثل حوار قديم تختلط مفرداتُه في الذاكرة. يتحسّسُ شعر الصبي ويقول له:

ـ بُنَيّ، عليك أن تقصّ شعرك، لقد أصبح طويلًا.

لا يردّ الصبيّ. إنه الصمت الذي يُدخِلُ نفسه فيه كلّ حين.

❖❖❖

في الليالي المقمرة يسـيران أيضًـا عائدَيْن من السـوق بعد أن ينهيا المهمّة. لا يسأل الضـريرُ ابنَ أخيه عن جمال السـماء أو الأرض، ولا عن البشـر. يسـيران صامتين، وأحيانًا يكسِر العمُّ الصمتَ فيغنّي فقراتٍ من الشعر الحسانيّ القديم. يسمع الصبيّ الغناءَ ويحفظه بذاكرته القويّة، ولكنه سـرعان مـا يهرب منه إلى الواقع حين يكونان في الحافلة المكتظّة التي تُقلّهما بين الأسـواق؛ فوقتها لا يفكّر سوى في الطريقة التي يردُّ بها عن جسد عمّه لَكَزاتِ الباعة الذين لا يلتفتون إلى جسده الهشّ المخبوء وسط الجلابيب.

وتسير الأيّام بهما: الطفلُ يقود الأعمى في الطريق، والعمُّ يتحسّس بحنانٍ رأسَ ابن أخيه. لكنّ الطفل خاف يومًا من عمه حين تمعّن في عينه؛ فلقد شكّ في أنه يرى أكثر ممّا يدّعي. حينها تساءل: أأقود عمّي فعلًا، أمْ شبيهًا به؟ شَغلته الفكرةُ بعد أن تمعّن يومًا مليًّا، فأدرك أنّ العين لم تمت تمامًا. كانا قد ابتعدا قليلًا دون أن يصلا إلى السوق، فضلّا الطريق، والعمُّ يتبع خطوَ الولد. وحين طالت الطريق ارتجف الرجلُ ورمشتْ عيناه، فسمع الطفلُ صوتَ عقله يقول له «اهرب من هذه العين التي لا ترى لكنها تجمع الصور.» رأى العين ذاتها ترمُش ذاتَ يوم أيضًا حين كان يفكّر في خدّوجة ولا يرغب في أن يعرف الأعمى بالأمر؛ فقد كان عمّه يحدّثه عن السوق، فإذا بالولد ينطقُ اسمَها المحبّب «خّدوجة» (لا خديجة). حينها نَظر إليه عمُّه من وراء العين البيضاء، فخاف كثيرًا.

❖❖❖

والآن، من أنا؟ الأعمى أمِ الصبي؟ لا أدري. ربما أكون مزارعًا يُراقب فحسب: يَرى من ثقب الباب، كلّ صباحٍ، دخولَ الطبيعة على الطبيعة؛ فيرقُبُ رجلًا مغطًّى بالجلابيب، وفتًى يرتعد من البرد يُساقُ إلى السوق، فيكتُم صرخة التي تَحته، تلك التي غاب زوجُها طويلًا، فاعتادت أن تتسلّل إلى بيت التّبن ليختلي بها، وحين تغادره ينام نومًا متقطّعًا، ثم يستيقظ فينصرف ليُعدّ أدوات الفلاحة ويستحمّ ويستغفر. يراهما حين يمرّان في وقتهما المحدّد، فيُسكِتُ صوتَ شهوتها لأنّ فجْرَ القرية يُسمع مَنْ به صمم.

وربّما أكون مدرّسَ الصبيّ الذي رمت الأقدارُ به في قريةٍ بعيدة، وتَعب وهو ينصح العمّ بالانتباه إلى ما سيأتي؛ فالطفل غائبٌ عن الدرس على الدوام، والعمُّ يقف احترامًا أمام المدرسة، يحرّك عصاه كأنما يهشّ شيئًا ويُنصِتُ، يقول نعم، لكنه يقودُ الطفل عند السادسة صباحًا إلى السوق. ورغم أنه مدرّس، والولد مجرّد رقم، فإنّه يحلم بكلّ ما يدور. ومن أحلامه مثلًا أنه ينام بعد العصر، فيرى فقيه الدوار، السي عبد الله، يَطلب مساعدته، داعيًا إيّاه إلى نظْم قصيدة معارضة لقصيدةٍ كتبها عليّ ابن أبي طالب، تبدأ هكذا: «المتّكئُ على الزمان لا بُدّ الزمان يَغْدِرُ به...» ويتعجّب المدرّس، ويحاول أن يُفسّر للفقيه أنّ القصيدة ليست لعليّ بل للمغربيّ سيدي عبد الرحمان المجذوب. لكنّ الفقيه يضحك ويرفض الاستماع ويُصبح مثل طفل صغير وهو يمنعُ المدرّس من الكلام بإصدار أصوات مختلفة مُضحكة.

ثم إنّ هناك شخصيْن لن أنساهما: رجلًا لا علاقة له بالولد ولا بعمّه، لكنه أحبّ خدّوجةَ حين كبُرَتْ وأصبحتْ عروسًا ويكاد يقتله الحسدُ من البائع الفقير الذي تزوّجها. ورغم أنه متعلّم وهي مجرّد بدويّة ترعى الغنم، فإنّه لم يحلم بغيرها، ينام ملءَ عيونه فيتحوّل في الحلم إلى شجرة من كثرة الخمول والتفكير بها. وحين يستيقظ يسأل نفسه: ما العلاقة بين الخمول والخميلة والخليلة؟ أما الرجل الثاني الذي لا ينساه فلا يُحبُّ خَدّوجة ولا يعرفها ولا علاقة له بالأمر، لكنه يعيش الكوابيس ويرى نفسه في الأحلام مثل شجرة يابسة، وحين يستيقظ يتساءل: ما العلاقة بين يابس ويائس؟

أما أنا فأجدُ نفسي أخيرًا بعد أن تهتُ في الممرّات، على الطريق الوحيدة الحقيقيّة، التي لا تهتزّ تحتها الأقدام، الطريق العزيزة التي سأنحني الآن لأبوسها، أمام الوادي الذي يلُفُّ الواحة. أنا والليل، والظلمة ترخي رداءها على الطريق. لا أسوق أحدًا، ولا يسوقني سوى الصبر. عيناي عينا صقرٍ تريان في الظلمة كلّ الأشياء. لستُ أعمى، ولكنّ يدي قادت الأعمى طويلًا في هذه الممرّات. تضعني التاكسي القادمة من سوقٍ ما أمام الوادي، ومعي كيس كبير. ثمة مَنْ ينتظرني في البيت على ضوء القنديل؛ خدّوج التي تحبّني وتشتهيني، ولا تقول ذلك بل تضحك وهي تمضغ المسواك البلديّ بلا توقّف حتى تُصبح لثتُها حمراء. والطفلة الصغيرة التي لم تبلغ الرابعة بعد، أتذكّرها وأنا في الماء. أنزل إلى ماء النهر البارد، وأعْبُر إلى الاتجاه الآخر، وأضحك. أتذكّر فمي يمسك بطرف البالونة، وحدقتيْ عينيها تتسعان، وأضحك، وأخاف أن أفلتها. عيناها مصوّبتان نحوي ويداها إلى أعلى، وحين تتمزّق البالونة اكتشفُ أنّ عمري أصغر من عمر الصبيّة لأنني تبعتُ هواي، وأنها قد غضبتْ لأنني ضيّعتُ بالونتها. أعبُرُ الوادي وأشمّ رائحة القصب. هل أشمُّ رائحته، أمْ أسمع صوتهُ يحكّ الريح؟ وهل للقصب رائحة، أمْ هي رائحة الطين الذي يَنغرس القصبُ في جسده بعد سيل عارم جرف الترابَ وعرّى العروق؟

أرى خدّوجة عند الباب تحمل البنتَ وتحثّني على قطع الوادي. أرجّ الكيس الكبير لأتأكّد من أنه بخير. وأتذكّر عمّي الأعمى الذي كنتُ أسير معه في هذه الطريق وحلمي القديم بأنّ أصبح تاجرًا كبيرًا، لكنّ التجارة لا تهمّ ما دامت خدّوجة أمام الباب.

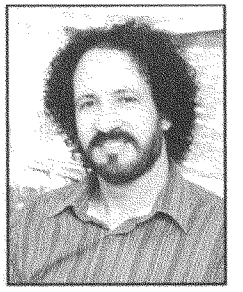

نبيل منصر
كاتب من المغرب.

طيور تبكي كالأرامل في أعلى الشرفة

طيفُ امرأة

نَزعْتِ جلدي وانزلقتِ بين تضاعيف الماء. ملابسي حَلَّقَ بها طائرٌ غريب انبثقَ فجأةً من دغل النوم، تاركًا بيضةً زرقاءَ على سرير اليقظة. أنظري كيف أسقطَ كوبَ الماء وتركَ خدوشًا حيّةً على زجاج النَّفَس. تلك الليلة جئتُ بيديك من الغابة التي أتلفَها البرق، لأقوى على رتق العناصر. لكنّ ذراعَك الحبيبة انزلقتْ بين تضاعيف المرآة، ساحبةً خلفها امرأةً عارية.

تذكّرتُ الطائر، فضرب برقٌ جديدٌ، تراءتْ لي ـ في طيّاته ـ ثيابٌ تشقّ السماءَ بأجنحة ملائكة. لم أتوارَ، بل سحبتُ يدي من تجويف الذراع، وتناولتُ حفنةً من الهواء، لأطعم طيفَك الذي ظلَّ ماثلًا يُحدّق بي مثل حيوانٍ أليف. قلتُ أيها الطيف، لا تلُمني إذا أوقدتُ شمعةً أسفلَ الماء، وركضتُ خلفكَ في الدروب المرجانيّة.

لحظات فيض

مَن منّا، في لحظات فيضه، لم تكن له رغبات؟

أنا مثلًا رغبتُ في ناقوسٍ عظيم أقرعه، فيحلّ الليلُ مُمتطيًا دابّته الخضراء.

رغبتُ في لغةٍ قديمةٍ أحرّك رمادَها، فينبعث طائرٌ كبيرٌ يتلاطم جناحاه بهواء الغرفة.

رغبتُ في تفّاحة الفردوس أفلقُها، فيجري وادٍ تهيم فيه حسناوات.

رغبتُ في بابٍ سرّيّ أدفعه، فيدفقُ شعبٌ بمطارق تنهال على سلاسل كبيرة، كانتْ تشدُّ أقدامَه إلى حجرٍ كبير.

مَن منّا، في لحظات فيضه، لم يرَ الليلَ الخُرافيّ يحُلُّ، والطائرَ الكبير، وقد أعياه الخبطُ، يتضاءل ويقف فجأةً جنبَ المصباح، يُحدّق بيديَّ وهما تعكفان كعجوز على نولٍ سداهُ مِن ظلمة الحياة؟

رغبتُ أكثر.

لكني لم أعثرْ على الباب في مكانه. والجدران، التي كنتُ أقولُ إنّها انهارت، فجأةً أصبحتْ لامرئيّة.

وحدَها أصواتٌ مخنوقة، تبدو طالعة من جوف صحراء، تدلُّ على أنّ ثمّة بابًا بمكانٍ بعيد.

أنا أكتبُ الآن. لكنْ ما مِن هُدهُدٍ يأتي من أرض سبأ، يدلُّني على الباب، ويدلّ البابَ عليَّ.

أيّتها السمكة

مِن جوفي، يَدّفقُ نهرٌ وجدّتُكِ تسبحين فيه. كيف تسلّلتِ مِن بين الأشجار لتكوني سمكتي الكبيرة التي أُمتّعُ عينيّ برقصتها الغاوية، وأنا أقتعدُ صخرةً على الشطّ؟

جناحان كبيران يَعبُران بتوتّر كُلّما طفا الثعبان على السطح. في الشتاء، كما في الصيف، أختلي بي، وأكونُ صيّادَ نفسي في المياه العميقة. عندما لا أعثر عليكِ، أشُكُّ حربتي في الهواء، فترتدّ نايًا يسعى بأفواهه السبعة.

أصفّرُ لك صفيرًا حزينًا، فيتلألأُ قلبُك، وتدّفقُ دماءٌ حارّةٌ في الماء وبين أوراق العشب. تموّجات دائريّة تتلاشى في قرارها كلمةٌ انزلقتْ من فمي على حين غرّة.

ما ربَّيْتُه في أعماقي طوال فصولٍ، وجدتُهُ، فجأةً، يتحرّرُ من بين يديّ مثلَ صقر. لا أعرفُ بأيِّ شجرةٍ، على أيِّ جبلٍ، في أيِّ انجرافٍ يمكنُ أنْ أعثرَ على بيضه حيث أُخبِّئُ أكبرَ المعاني.

الهواءُ، في هذا الوقت، أشفُّ من السيف. لذلك أعبرُ برويّةٍ كلَّ هذه الأنهار المتلألئة أمامي، مستشعرًا دَفقَ الدم الذي يزيدُكِ انحرافًا، أيّتها السمكة.

الباب

يدايَ تنفردان بصمتِ الباب. أمرّرُ عليه أصابعي كما لو كان طائرًا هبط من السماء، مستشعرًا دبيبَ الزمن الذي سال مرّةً في لوحة. الماءُ صخرةٌ مغلقة في الأيام الخوالي: قال صوتٌ. لكنَّ الفنّان عرف كيف يُحدِثُ ثغرةً. لم يدخلِ الهواءُ مُحمَّلًا بالغبار الأول، بل أطْلَتِ المرأةُ بشَعرها الملتهب، وترقرَقَ الوقتُ من ظلمات بعيدة. أنوارُ مَن تتلألأ عند مدخل المدينة، حيث يقف حارسان بحربتهما الطويلة، وقبّعتهما المُجوَّفة التي تكتنِزُ مَطرَةَ العصور؟

محاقن القدر

الغدُ غَرسَ نابَه بكفّي. اندلقتِ الكأسُ ولم تسقط تمامًا. شمس صغيرة أضاءت وجهَ الثعبان المُتسلّل بين الغيم. إذا عثرتِ عليَّ مُلقًى على الأرض، فاجعلي رأسي ينظر إلى الأفق. فأنا أنتظر أن تنكسرَ جرارٌ كثيرة بقلب السماء، وتخرج الساحرة ببرقِها الوامض من بعيد. أشعرُ بعطف على الدم الجاثم على الحَجر مثل فَراش. وألتفتُ إلى الطائر الأعمى المُرفرف أمامي بامتنان طفل. كَمْ أتألّم لأثبتَ جدارتي بالأيّام. أيتها المحاقنُ، التي يُسمّيها الشاعرُ قدَرًا، شُكّي إبرتَكِ في الظهر؛ فقدْ علّلْتُ النفس بدَفن رأسي في رَمْلِ يدي، والمشي أطول وقت ممكن.

نحّات الملك

الصخرة الكبيرة دَحْرجَها عبيدٌ، فاستوت كالوحش في ساحة المدينة. الملكُ أيقظ النحّات. بعث إلى نافذته المفتوحة بنَسره الذي أضرم نارًا في الهواء. ضاءت الغرفة، وكشفتْ عن سلسلة ذهبيّة تتأرجح بكتابها تحت الجناح المفرود.

هبَّ النحّاتُ لكلمات الغيب. خرج من حينه ولم يعُد.

شتاءاتٌ تعاقبتْ على الأرض، كان النسرُ خلالها دائمًا يفجأ النّحاتَ عاكفًا، ليلَ نهار، على الصخرة، يدعك، يكسر، يثقب، فاتحًا للهواء مسالكَ، وللنار فجواتٍ، وللظلال مَراقِد، حتّى استوتْ بينَ يديْه امرأة أفعوانيّة، دقيقة العُنق، نافرة النهد، طويلة الساقيْن، متأهّبة لرميةٍ قاتلة، من قوسٍ يتوتّر بين يديها جهةَ الشرق.

نسرُ الملك صار يسهرُ الليلَ على كتفي المرأة المُضيئتين. أما المدينة فأغدقتْ عليها ألقابًا وهبات.

أقلّ ما يُشاعُ عنّي

أنا اليوم أوْهى من نملة تجُرُّ الحياة كجرادة أكبرَ من بيتها.

أقلّ ما يُشاعُ عنّي أني خسرْتُ في الرهان ثورًا مجنّحًا، ومالتْ في بحيرتي ظلالٌ بلا أجسادٍ تمشي على الأرض.

في لحظات العطالة أكسر فخّار الأيّام الأولى، لِأصنع طمْيًا يَصلُحُ لِعبَثِ اليَديْن.

المغرب

اللقاء

وفاء مليح
كاتبة من المغرب.

(١)

يسمّيني زنبقة القلب أو هكذا يشاء أن يناديني حين نختلي بروحينا. والمسافة تقرب بيننا. أنظرُ في عينيه وأكتفي بالنظر، بينما يعبث بجسدي كلّه، عازفًا على أوتاره لحنًا جميلًا، منعشًا مساماتِ جلدي، فتصير نوافذَ تستقبل هواءَ الحبّ. حواسّي تغنّي مع عزفه. انطلقتْ زغرودة من جسمي تدعوه إلى السكن في رحمي. حكيتُ له كلامًا صامتًا ودعوتُه إليّ بعينين مفتوحتين في غرفةٍ يضيئها النهارُ.

أستلقي على فراشي عاريةً. يتمدّد إلى جانبي. أجرّده من ثيابه قطعةً قطعة. أتأمّل تفاصيلَ جسده. أحدّق في عينيه، في الشوق المنبعث منهما، في الرغبة المتوثّبة. ترتجف شفتاي على جبينه مثل دموع رقيقة، دافئة. أقبّل العينين. الوجنتين. الأنف. الشفتين. أنحدر ببطء شديد نحو العنق. ثم ببطء تنحدر قبلاتي دافئةً إلى كلّ تفاصيل الجسد، حتى تبلغ أصابع القدمين. أراه الآن ممدّدًا على الفراش مثلَ حلمٍ أتلمّسه. حلم أيقظ أنوثتي الدفينة في جسدي النافر، العصيّ على التجاوب، يدعوني إلى وليمة الالتحام الملتهب. يَرْكبني جسدُه. ننصاع لفوران الرغبة. بعينين مفتوحتين أترك جسدي مستسلمًا لقبلاته. أحسّ عرقَه طريًّا فوق لحمي. يجري الدمُ في عروقي ساخنًا. أشمّ رائحته. أعشق رائحة جسده التي تفوح من مسامّ جلده، غيرَ ممزوجةٍ بعطرٍ اصطناعيّ. يمتزج عرقُ جسدينا في عراك السرير. يستمرّ بوصف ما يقوم بفعله. حركةً حركة، كلمةً كلمة. يزداد هيجاني. يزداد هيجانُه. أدعوه إلى الدخول فيَّ. تنبعث شهقةٌ من جوفي. أحسّ تقلّصاتٍ في حوضي، فيتأكّد أنني بلغتُ الذروة. لا يهدأ. يزداد فورانُه إلى حين وصوله الذروة. تهدأ العاصفة. نتمدّد بارتخاءٍ على الفراش، وأنفاسُنا مازالت تلهث. تغوص شفتاي في شفتيه. نترك السرير لنكمل القُبل تحت الدوش.

(٢)

باتت اللحظاتُ، النهاراتُ، الأماسي المتتالية، ترديدًا لمعزوفة اللالقاء بين فراغٍ وآخر. تَعْبرني ذبذبات، وشوشات. تتسارع حينًا، وتبطئ حينًا آخر. لكنْ ما إنْ ألتقيه حتى تنصهر كلُّ الأزمنة في الآن، ولا يبقى إلّانا. ترفعنا الذبذبات وإنْ عاندْنا. يصرخ همسي: «خذ لهبي الغافي وضعْه بين يديك.» الآن. الآن. هي ذي انتباهةُ اللحظة. يقظةُ الحواسّ. كم أشتهي عناقًا عميقًا ممزوجًا برائحة بشرتك لأستنشق الأوكسجين بأعلى جرعات. آه كم أحمل معي الكثير من الحبّ. من الألم. متى يحين أوانُ اللالقاء؟

يمرّ يومي. أختلقُ الذرائعَ للهرب من أيّ تواصل حميم يجمعنا. أنغمس في عملي لكي لا أترك مجالًا للتفكير فيه أو الغوص في لحظات الشبق تلك. ألتقي بأصدقاء هنا وهناك. أتحدّث إليهم طويلًا في كلّ شيء وفي اللاشيء: مواضيع الجدّ، مواضيع الهزل. أُرهق نفسي في التزاماتي اليوميّة. يمرّ أسبوع من دون أن أراه. أسبوعان. ثلاثة. أقول في نفسي هي ذي جولتي الأخيرة كي أضع فيها حدًّا لعلاقتنا. أضغط على نفسي كي لا أفتح هاتفي المحمول. أبقيه مقفلًا أيّامًا وأيّامًا...

(٣)

في لحظة نسيانٍ، تركتُ هاتفي المحمول مفتوحًا. رنَّ وكأنه ينتظر هذه اللحظة. تسارعتْ نبضاتُ القلب. ارتفعتْ حرارةُ جسدي. وجدتُ رقمه على الشاش. تردّدتُ. اضطربتُ. ثم أجبت:

ـ نعم.

ـ أحاول الاتصال بكِ منذ فترة، فتجيبني العلبةُ الصوتيّة. انتظرتُ أن تتصلي أنتِ، لكنك على ما يبدو خارج التغطية. ماذا هناك؟

ـ لا شيء، فقط بعض الانشغالات. ثم...

ـ ثم ماذا؟

لذتُ بالصمت. أردف قائلًا:

ـ نادية، أريد لقاءك بعد ساعة. لي رغبةٌ شديدةٌ في الجلوس معك. سأنتظركِ بسيّارتي في مكاننا المعتاد.

أقفل الهاتف من دون أن ينتظر الجواب.

مكثتُ برهة أجمع فيها شتات نفسي. لهفة الشوق كانت بادية حين نطق أحرفَ اسمي. أزداد إعجابًا باسمي حين يأتي ذكرُه بين شفتيه. أطربُ نشوةً وهيامًا وأتناثر أمامه كأوراق الخريف. حملتُ حقيبتي وأسرعتُ نحو المكان. وجدتُه في انتظاري. صعدتُ السيّارة. قبّلتُه على الخدّين، وكلُّ جوارحي تغنّي. تفحّصني وكأنه يريد اكتشافي من جديد. عيناه تتطلقان عتابًا ولومًا.

في مقهى ميرمار بشاطئ الهرهورة نلتقي، حيث يحلو لنا أن نراقب أفولَ الشمس ونتأمّل الغسق. جلسنا إلى مائدة تشرف على البحر. دام صمتُنا لحظات. إحساسي بوجوده يملؤني فرحًا، كما يملؤني ألمًا حين أتذكّر أنّه لها، لا لي. أحاول أن أتمتّع بوجوده معي وحدي الآن، لكنّ عبثًا تأخذني مرارةُ الواقع.

ـ افتقدتكِ! ما كلّ هذا الغياب؟

ـ أنا هنا بجانبكَ، قلتُ مازحةً.

ـ أقصد تجنّبكِ لقائي. ثم إنني أحسّكِ شخصًا آخر. ماذا حلّ بك؟

لم أجب، بل رحتُ أتأمّله وأنا أفكّر في الدفء والأمان اللذين أشعر بهما وأنا إلى جواره، وفي جحيمي الذي أحترق فيه وحدي. خطر في بالي أن أتمشّى على الكورنيش. نهضتُ من دون أن أخبره. لحق بي. إحساسُه بسكناتي وحركاتي وكلُّ ذبذبةٍ تصدر عني ورّطني فيه إلى حدّ التمسّك المجنون به، وأنا أعلم أنه متزوج وله أطفال. على الكورنيش تمسّكتُ بالصمت، بينما راح يخطو خطواته إلى جانبي مرتبكًا: مرة ينظر إليّ، ومرةً إلى البحر. فجأةً سألته وكأنّ البركان الخامد في جوفي تحرّك:

ـ ماذا بعد؟

ـ ماذا بعد ماذا؟

ـ أنت متزوّج وغنيّ. لك أطفال وحياة اجتماعيّة قائمة. أنا محاسبة بسيطة في متجر تجاريّ ممتاز، تملك أنت فيه محلًا كبيرًا لبيع الملابس. أدرك أنني أعيش علاقة مستحيلة. علاقة لم أحلم بها يومًا. أعيشها بين نار المشاعر النابضة الدافئة، ونار الانتهاء قبل البدء.

شرد بفكره برهة ثم قال بصوت فيه دفء وحنين:

ـ أحبك. هذا ما أعرفه الآن وأحسّه. وأشتاق إليك في كلّ لحظة.

ـ وزوجتك؟ وأطفالك؟

يتردد قبل أن يجيب:

ـ علاقة الزواج علاقة مملّة، لا يمكنني أن أزيد عن هذا الكلام.

شدّني إليه بقوة، ثم أحاط خصري بذراعه، وغاص بشفتيه في شفتي. أنعشتني قبلتُه. ارتختْ على إثرها أساريري. عدنا إلى السيّارة تاركيْن حديثًا لأمواج البحر.

في بيت عمّتي التي أقيم معها نتجوّل بألفة. أستغلّ خروجَها للعمل لنختلي عندها. أمسك بيدي. مشيتُ وراءه فاقدةً النطقَ. قَصَدَ غرفةَ نومي ونظراتُه تأكلني اشتهاءً. لقاءاتنا دائمًا متأجّجة. وحين تتباعد يصير جسدي وردةً ذابلةً لا تنتعش إلا بماء جسده. أغيب بين يديه بينما يبدأ في خلع ثيابي قطعةً قطعة. أدركُ أنّ هذه الكيمياء نادرًا ما أجدها في جسد رجل. أن تستطيع الجمعَ بين مشاعر الحب وتفاعل الجسدين إحساسٌ لا يضاهيه إحساس، والعثُور عليه هِبة تمنحنا إيّاها الحياة: ففي بحثنا المتواصل عن دفء الآخر، إمّا أن يعصف بنا الحبُّ من دون لهب الجسد، وإمّا أن تتفاعل كيمياءُ الأجساد من دون لهب الحبّ. في حالتي هاته أعيش لهبَ الحب ولهبَ الجسد معاً. ألهذا السبب استسلمتُ له بالرغم من معرفتي أنه رجل متزوّج؟ ربما! فإحساسي بأنّ الحياة لا تجود علينا بلحظات حبّ جميلة، ملتهبة، توقظ الأنوثة إلّا فيما ندر، هو ما دفعني إلى أن أعيش هذه العلاقة المستحيلة. غصنا في قبلة عميقة ثم سألته:

ـ أتعرف لماذا أهرب منك؟ لأنك تصرّ في كلّ لقاءاتنا على علاقة السرير، وأنا أخاف التوغّل فيك. التورط فيك. التوحّد فيك.

يحملني إلى السرير. يبدأ في خلع ثيابه بحركات متسارعة كأنه يخاف أن تتفلت منه لحظةُ المتعة. يطأ جسدي محمومًا. يوغل فيّ وأوغل فيه. يسكنني وأسكنه. نرحل إلى حيث تُزهر الرغبة. رائحته تملأ أنفي. أصبح الجسدان جسدًا واحدًا ارتفع إلى علياء السماء. وبين صمتٍ وصمتٍ تأوّهاتٌ وآهاتٌ تؤجّج زنادَ الشهوة. أركب جسده ويركبني. يمتد فوقي كحصان جامح. بين صعود وهبوط يكتب أبجديّةَ الحبّ. في ذروة المتعة أسمع صوتًا يسأل: ماذا تفعلين مع شخص تحضنه امرأة أخرى؟

شعرتُ كأنّ يدًا تصفعني. انكمش جسدي، ونفرتْ كلُّ حواسي. عادت إليّ في هذه اللحظة عذاباتي التي أعيشُها بعد كلّ لقاءٍ نمارس فيه الحبّ. تركتُه جانبًا وأسرعتُ إلى الحمّام. انتهيتُ من الحمّام ولبستُ ثيابي بعيدًا عنه. انتظرتُ أن ينتهي من حمّامه ويتلفّع بثيابه. «ماذا حلّ بكِ؟» سأل. ظلّ واقفًا ينتظر الجواب. لزمتُ الصمت. كرّر سؤاله. أجبته وأنا أودعه أمام الباب:

ـ لا شيء بالتحديد. فقط لي رغبة في أن أختلي بنفسي. سأتصل بك لاحقًا.

(٤)

أحسستُ بعد رحيله بالفقد. دخلتُ غرفةَ نومي أتحسّس الفراش. كان باردًا كجسدي. ما الذي جرّني لأعيش هذه التجربة التي أرهقتْ أحاسيسي أكثر ممّا أينعتها؟ عادت بي الذاكرة إلى شهور خلت حين بدأتُ عملي محاسبةً في المتجر التجاريّ الممتاز، بعد فترة طويلة من العطالة كمجازة في شعبة الآداب. تعرّفتُ إليه من طريق زميلة لي تقتني ثيابَها من محلّه داخل فضاء المتجر. في أول لقاء كان انشداد بيننا. نظراته حين قدّمتُ نفسي عرّتني من ثيابي وقالت: «أنتِ لي.» في أول لقاء حكى لي عن أسرته. حاولتُ الهروب من أيّ لقاءٍ يجمعنا، لكنه كان يلاحقني، فلا تهدأ سريرته إلا حين يتحدّث إليّ ولو لحظات. في تلك اللحظات القليلة يتغيّر طعمُ الحياة. يحيطني باهتمام وحنان أفتقدهما في محيطي الأسريّ والمهنيّ؛ فقد اعتدتُ في علاقتي بالوالدين والإخوة أن أكون المبادرة في السؤال عنهم والاهتمام بمشاكلهم، خلافًا لعلاقتي بعُمَر، الذي غمرني بحنانه حتى كدت أنسى أنه متزوج. ضعفتُ أمام إلحاحه، وبدأتْ لقاءاتُنا تتواتر خارج فضاء المتجر. تطوّرتْ من الجلوس في المقاهي إلى اللقاءات الحميمة داخل بيت عمّتي الأرملة، التي هاجر ابنُها الوحيدُ إلى فرنسا منذ سنوات، فأصرّت على أن أقيم معها كي لا تبقى وحيدة، وأقنعتْ والديّ بذلك. تركتُ طنجة لألتحق بعمّتي في الرباط. وفي مكان ما من الحياة كنتُ أبحث عن حضن دافئ.

نادرا ما حدّثني عن زوجته. كلّ ما عرفته أنها من عائلة ثريّة وتملك مركزاً لتجميل النساء. تزوّجا منذ سبع عشرة سنة، ولهما ثلاثة أطفال، ويعيشان حياةً مستقرّة. لم أحاول أن أعرف عنها المزيد، لكني كنتُ أستشفّ حين يتحدّث عنها مرارةً يجهد كي يخفيها. غير أنّي حين أسأله عن مشاعره نحو زوجته ونحوي، يجيبني:

ـ هي زوجتي وأنت حبيبتي.

أرتبكُ حين أسمع الجواب، وتنتفض أنانيتي كامرأة أوقعها الحبُّ في شباك رجلٍ ليس لها. أنظر إليه وأقول له في صمت:

ـ أريدك لي وحدي، وحدي أنا فقط.

ولأنه يحسّني فهو يسمع عبارتي الصامتة ويقول:

ـ أنت تملئين حياتي.

أفكّر في اختلاف معاني الحبّ عندي وعنده: الحبّ يعني لي أن أرتبط بالشخص الذي أحبّه؛ أما هو فيعيش حبّه معي لحظةً بلحظة. ودائمًا أسأله «ما فائدة حبٍّ لا ينتهي بالارتباط؟» فيجيبني: «لكي نعيش الحب ونستمتع بلحظاته.» ألحّ في السؤال: «ولماذا تصرّ على استمرار علاقتنا وأنت لا تنوي الارتباط بي؟» فيجيبني: «لأنني أحبّك.»

أغيّر دفّة الحديث. تطول جلساتُ حديثنا. نستمتع فعلًا بألق اللحظات. نتجرّع جرعاتنا معًا من فنجان العشق الدافق.

(٥)

لا أنكر أنني في حمّى العلاقة خسرتُ أشياء وربحتُ أشياء أخرى. فما جدوى حبٍّ أعطاني بقدر ما أخذ مني؟ وكيف السبيل إلى استقرار النفس وتهدئة العاصفة؟ أتحاشى اللقاء تلو اللقاء. يزداد عُمر توترًا وعصبيّة، وكلما رآني، أصرّ على أن نلتقي. بكاء داخليّ صامت انبعث سؤالًا مريرًا:

ماذا تريد مني؟

لم يجب. شدّني من يدي وانطلق بي في اتجاه شاطئ الهرهورة. دائمًا يهرب بي إلى أماكن لا يعرفنا فيها أحد، حفاظًا على هيئته الاجتماعيّة. يصيبني الذهول أمام تركيبته هذه: فهو يرفض الإعلانَ عن علاقة حبٍّ ملأتْه سعادةً، ولكنّه يستمرّ في ارتباطٍ يخنق حياته ويودي بها إلى التعاسة. تعبنا من المشي على الشاطئ في صمت. طلبتُ إليه أن يوصلني إلى البيت. رنّ هاتفُه فسبقتُه إلى السيّارة. جالسةً أستمع إلى الموسيقى، وقع نظري على مذكّرةٍ صغيرةٍ مرميّةٍ تحت قدميّ. التقطتُها، فلمحتُ خطَّ عمر على أول صفحة. دفعني الفضول إلى قراءتها، وساعدني في ذلك أنه أطال الحديث في محموله.

«حياته مللٌ في ملل. كان يعتقد أنّ علاقته بزوجته ستشتعل مع مرور الوقت. نعم، رُزق بأطفال، وكوّن حياةً عائليّة مستقرة، لكنّه لم ينعمْ بلحظة سعادةٍ حقيقيّة واحدة مع زوجتي. رجولته لم يحسّها معها، وأنوثتها لم تحسّها معه. أحبّها زوجةً وأمًّا لأطفاله، لكنه لا يتواصل معها حين يزأر في داخله الرجلُ. مع ل.، امتلأتْ حياتُه أملًا، لكنها ضاعفتْ تخبّطه وتمزّقه. هكذا يعيش مترنّحاً بين ضفتين: بين وهمِ الاستقرار، وحبٍّ لا يستطيع أن يجازف به...»

انتبهتُ فإذا بعمر يتّجه نحو السيارة. لم أكمل قراءة ما خطّه قلبُه، رغم لهفتي إلى معرفة المزيد، ويقيني أنّ حدسي منذ البداية لم يخب. دسستُ المذكّرة في القمطر الأماميّ. صعد عمر. كان متوتّرًا بعض الشيء، ويبدو عليه التعب. تحرّكت السيّارة. سألتُه بصوت مخنوق مرةً أخرى: «ماذا تريد مني؟» تأمّل ملامحي، ولم يجب. أعدتُ السؤال وأنا أكتم صرخة. أجابني ويدُه اليمنى تضرب على المقود بانفعال شديد:

ـ صدّقيني لا أعرف. لا أعرف. لا أعرف.

ساد صمت بيننا. لا صوت سوى أنفاسنا وعجلات السيّارة. على شفتيه، وشفتيّ، دموعٌ رقيقة دافئة. غبار تناثر من حلقه وحلقي، استقرّ على زجاج السيارة ضبابًا حَجَبَ الرؤية. توقفنا في وسط المدينة. تركتُه وحيدًا، حيث اللالقاء وتابعتُ مشواري نحو البيت، وإحساسٌ باليتم ينمو في داخلي.

المغرب

متأخّرًا كعادتي

طه عدنان
شاعر وكاتب مغربي،
من مواليد ١٩٧٠

سارَة وأنا
نستَقِلُّ المترو
ننزوي في الرُّكْن
أُصغي للذي يجبُ:
....
«قُلْتِ الحليبَ؟
لن أنساهُ حبيبتي
ولا النبيذَ المَغربيَّ
ولا السجائرَ
سأقْتني الهَريسةَ أيضًا
....
سأُهاتِفُ باربرا
هذا الصّباحَ، أجَلْ
سأدعوها إلى السَّهرةِ
....
موعدُنا البوزارُ[١]
هذا المساءْ.»

في محطّةِ شومان[٢]
تتأهّبُ سارةُ للنّزول
يتدافعُ حَوْلها قَوْمٌ
ببَزّاتٍ داكنةٍ
وياقاتٍ بيضاءْ
متوعّدين نهارَهُمْ
بأكثرَ مِن مِلَفٌ
وأكثرَ مِن قَرارْ
وعلى صدورِهِمْ
تتراقصُ «البَادْجَاتُ»
مِثلَ القلائدِ زرقاءْ.

في محطّةِ شومان
تَهْمسُ سارةُ
في فمي
مودّعَةً: «أُحِبُّكَ..»
«أُحِبُّكِ..» أهمسُ طَرِبًا
ومضْطرِبًا؛
فهذا الهَمْسُ
مِنْ شَفَةٍ
إلى شَفَةٍ
تُحاصِرُه عُيونٌ
إخْوَةٍ في الدِّينْ
يصعدون المترو زرافاتٍ
بسرابيلَ مُفَضْفَضَةٍ
كما لوْ على رواحِلَ قَفَلوا
من المسجدِ[٣]
خاشعينْ.

مَسَحْتُ على فمي
ببَطْنِ الكَفِّ:
آثارُ الهَمْسِ حمراءُ
مِثْلَ جريمةٍ
عبثًا أُداريها،
أنا الأَخْشى
على الحُبِّ ـ سِرِّ العاشِقينْ ـ
مِنَ الجَهْرِ
ومِنْ أَعْيُنِ الرُّقَباءْ؟

تنزِل سارة
من المترو

---

(١) قصر الفنون الجميلة.

(٢) محطة مترو في الحيّ الأوروبيّ حيث المجلس والمفوضيّة الأوروبيان.

(٣) المسجد الكبير لبروكسل بشومان.

تشقُّ الصُّفوفَ بعِطْرِها
وتَنْفُخُ في كفِّها
تُرْسِلُ لي قُبْلةً
في الهواءْ
أُوَدِّعُها بتلْويحةٍ مِنْ يدي
عَجْلى
وأمضي باحثًا عن مقْعَد.
سأبْدَأُ فصْلًا جديدًا
من روايةِ بِنْبينَ[٤] الأخيرةِ؛
فمازال في الرِّحلةِ مُتَّسَعٌ.
ولأنَّ حَظّي -
مثلَ قلبي - داعِرٌ
وَلِعٌ،
فَقَدِ انْتَهَيْتُ
مِثْلَ زُنْبورٍ
جِوارَ وَرْدةٍ شقراءْ
تَسْتَدْرِجُ العِطْرَ فَوّاحًا
إلى رُكْنِها؛
وآيَتُها أنْ تَفتَّحَتْ مِنْها
تَنّورةٌ حمراءْ.

أَفْتَحُها (الرِّوايَةَ)
جَنْبَ القصيدةِ
- كيْفَما اتَّفَقَ -
أُطِلُّ مِنْ شاهِقِ السَّرْدِ
على ما انْهالَ
مِنْ شَبَقٍ
وسَقى
عُشْبَهُما العَيْنَيْنْ.
أتلَصَّصُ
كالرُّمْحِ منتصِبًا
على الفخِذَيْنْ
(لا غُبارَ على لُجَيْنِهما
كأنَّما فُتِنا بنارِ الغَرامْ)
وأَرْقُبُ كهْلًا عُرَّةْ
بعيْنَيْ ذئبٍ
وهيْئَةِ خنزيرٍ
يَنْفثُ لهَبًا من منخريْهِ كتنّينِ
منذ زمانٍ لَمْ تَمْسَسْهُ امرأةٌ
ولم يَمْسَسْ... منذ زمانْ.
بمخالِبِ النّظَرات
يَنْهَشُ لحمَها
فترْتبِكُ
لتُرْخي على الفخِذَيْنِ يديْنِ
ناعمتيْنِ
وأناملَ مشْبوكةً
كغُصْنِ سلامْ.

وحين يَضيقُ الحِصارُ
بها
تَسْحَبُ جارتي حقيبتَها
تُغَطّي سِرَّ فِتْنَتِها
تُشيحُ بوجهِها القَمَريِّ
عَبْرَ نافذةِ الإغاثة
تتلألأُ طلْعَتُها في الزُّجاج
وهي تُراقِبُهُ؛
وحين بِنَظْرةٍ
- آه، مِنْ نَظْرَتِها -
تُداهِمُهُ،
تراهُ مشْغولًا بها
عَنْها،
تمامًا كما انْشَغَلْتُ
عن الرِّوايةِ
بما ذابَ مِنْ فِضَّتِها
تَحْتَ وابلِ نيرانِهِ
....
في الأقلّ
عَيّنا شاعِرٍ
هذّبَتْهُما الاستعارة،
رَوَّضَتْ فيهما الذِّئْبَ
ليبْدو وديعًا
كالحَمامْ.

في آرْلْوا[٥]
لَمْ أغيِّر خَطَّ المترو
كُلُّ الطرُق تؤدّي...
فالرفيقُ قبْلَ الطريقِ
وأنا برفْقتِها مبتهِجٌ!
لن أهبِطَ في ريبوكور[٦]
سأُواصِلُ حتى الكونْتْ دو فْلانْدَرْ[٧]
فاليوْمَ خميسٌ
والسوقُ هنالكَ مُنْدَلِعٌ
في مولَنْبِك[٨]
أشتري، ربَّما، فاكهةً
بطراوةِ هذا الجِوارْ.

في المحطَّةِ المركزيّةِ[٩]
لَمْلَمَتْ جارتي
ما تناثر من نَداوَتِها؛
هَرْوَلَتْ
كأنّما لتُدْرِك القطارْ.
لَرُبَّما تأخّرَتْ
عن شُغْلِها مثلي؛
لَرُبَّما حبيبُها
هناكَ في انْتظارْ.

ها غادرَتْ جارَةُ المترو
لتَجْلس موْضِعَها سمراءُ
- مِنَ الكونغو، أظُنُّ -
تجرُّ رِدْفَيْنِ هَتونَيْنِ
كلّما ارتطَما
أرْعَدَتْ
وأبْرَقَتْ
ورَمَتْ بالشَّرارْ.

---

(٤) **نجوم سيدي مومن**، للروائيّ المغربيّ ماحي بِنْبين.

(٥) محطة مترو تتقاطع فيها الخطوط.

(٦) محطة مترو في بلدية مولنبك.

(٧) محطة مترو في بلدية مولنبك.

(٨) بلدية ببروكسل معروفة بتنوّع ساكنتها مع حضورٍ مكثّفٍ للجالية المغربيّة.

(٩) محطة مترو وقطار في مركز المدينة.

أفتَحُ الـ «مترو»[١٠]
ـ الجريدةَ ـ
لأقْرأ آخِرَ الأخبارْ،
أخبار عالَمِنا العربيِّ
أخيرًا... أخيرًا ثارْ.
لكنّ غَجَريّيْنِ
جاءا بعَزْفِ نَشازٍ
فيما زميلةٌ لَهُما
تَلْبَسُ بُستانًا
بأزهارٍ وطيورْ
عَن بِضْعِ شموسٍ
مِنْ مَعْدِنٍ ذَهَبٍ
يَفْتَرُّ مِنْها الثَّغْرُ
وهْيَ تدورْ
على جمهورٍ غَفورٍ
تدورُ
لتَسْألَ مالًا ونُذورْ.

وجاء أيضًا:
مُشَرَّدون
يَسْتَظْهِرون قِصَصًا متشابهةً
بلُكْناتٍ شتّى؛
مراهِقونَ مغاربةٌ
يحمِلونَ ملاهِيَ متنقِّلةً
في جُيوبِهم
ويُحَرِّكون رؤوسَهم
مُدَنْدِنينَ غيرَ مُبالين؛
سِنغالِيٌّ
ـ خمَّنْتُ ذلكَ مِنْ هيئَتِهِ ـ
يَعْرِضُ للبيْعِ كُتُبًا
ومآسِيَ سَوْداءَ؛
أتراكٌ أَوْ أكرادٌ
ـ لا أدري؛
رجالٌ ونِساءٌ؛
شبابٌ مِن مخْتلَفِ التّقْليعاتِ
أَتَوْا؛
أزواجٌ وعُشّاقٌ؛
أوغادٌ ولصوصٌ
ـ أحْدسُ ذلك؛
أشكالٌ، ألوانٌ، وصِفاتٌ؛
أجناسٌ، أعراقٌ، ولُغاتٌ.

في مترو الأنفاقْ
يَرْنو النّهارُ إلى لَيْلِهِ
ساهِمًا
أهبِطُ في الكونْت دو فْلانْدْر
أصْعدُ الدَّرَج
ـ السلّمُ الكهربائيُّ مُعطّلٌ ـ
تُطلِقني فُوَّهَةُ المترو
مِثْلَ قذيفةٍ
أخترِقُ العُبابَ.
فالسّوقُ مُزْدَحِمٌ
والقلبُ مُحْتَدِمٌ
والحُبُّ مُنْكَتِمٌ
والبالُ مُصْطَدِمٌ
بِأَلْفِ بابٍ
وبابٌ.

كعادتي، متأخِّرًا، وَصَلْتُ
تَسْبِقُني أرانِبُ الوقتِ
أُحاوِلُ أُدْرِكُها
ليَدْهَمني، في المَصْعَدِ، الرَّنينُ:
«آلو سارة، لَمْ أصِلْ بَعْدُ
....
حياتي، لَم أصِلْ بَعدُ
أتَسمعينَ؟
....
مهلًا، سأُهاتِفُكِ
....
طبعًا، سأُهاتِفُكِ
بعْدَ حينْ.»

أُسْرِعُ لا أَلْوي
على شوْقٍ
أَحُثُّ الخَطْوَ في «الكولْوار»
كدَأْبي كُلَّ تأخيرٍ
وأُوَزِّع «البونجور»
مُتحَرِّجًا
لأبْلُغَ مكتبي
وأُفاجَأَ بالمديرِ
والمديرِ العامِّ المساعِدِ
والسِّكْرتيرةِ
وزُملاءَ آخرينَ
ـ يا لَلْفضيحةِ! ـ
قالوا: «زميلُك اليومَ عَليلٌ»
عَلَيَّ أَنْ ألحَق بَدَلًا مِنْه
باجْتماعٍ بَعيدْ.
دَسَسْتُ مِلَفًّا في الحقيبةِ
ـ عَشْرَ أوْراقٍ أَوْ يَزيدُ ـ
وعُدْتُ أَدْراجي
إلى المتْرو
متوَتِّرًا
أُقَلِّبُ الصَّفحاتِ
في ثِقَل الجبالْ
فإذا أمامي إذْ جلَسْتُ
قصيدةٌ تخْتالْ:
الصَّدْرُ فيها مُتْرَعٌ،
والحوْضُ ـ يا قَلْبُ ـ مُشْرَعٌ
فَوّارْ.
وأنا التّائهُ
بَيْنَ المِلَفِّ والقصيدةِ
علَيَّ أنْ أختارْ.

يرِنُّ الهاتِفُ المَحْمولْ:
....
«أهلًا بارْبَرا
سارةُ أخْبرَتْكِ
حسنًا، فَقَطْ، أنا الآنَ مشْغولْ
مَوْعِدُنا البوزارُ جميلتي
....
عُذرًا؟!
....
لَن أتأخَّرَ كعادتي
....
موْعِدُنا البوزارْ.»

بروكسل

---
(١٠) جريدة يوميّة توزّع مجّانًا في محطّات المترو.

فاتحة مرشيد

أصدرتْ ستّ مجموعات شعريّة، وثلاث روايات، وكتابين فنيين بمشاركة فنانين تشكيليين مغاربة، ولها مؤلّفات في طبّ الأطفال (مجال عملها). أشرفتْ، إعدادًا وتقديمًا، على برنامج يهتمّ بالتربية الصحيّة، وعلى تقديم «لحظة شعر» في القناة الثانية المغربيّة.

حازت جائزة المغرب للشعر لسنة ٢٠١٠.

ما لم يُقَل بيننا

مقتطفات من قصيدة

جريحان
نَحْتَرِسُ من ليلٍ
انتظرناه طويلا
وكان أقْصَرَ من لذّة.
تَتَقَرَّرُ دقائقُه
على تَعَبنا،
كوهْمٍ، بهدوء.
وقد كان حلمُنا
وَعْدًا بصخب.
...

جريحان
والعتمةُ للضوء
نسيان
وشفاه
بطعم الرماد
تُبلّلُ
جَمْر العتاب.
...

في المَمَرّ المُفضي إليكَ
تَسْتَبْقيني واقفةً
كنخلةٍ
لا تُحسن الخُضوع.
...

أرفعُ أغْصاني
إلى السّماء
نحو أغواري.
...

كم يلزمكَ من رحيلٍ
لتعُودَ أكثر!
...

كم يلزمُني من مجيءٍ
لأبتعدَ أكثر!
...

كم يلزمُنا من سقوطٍ
لننهض أكثر!
...

تَسْتَدْرِجُني
لاختبار الحواس
وقد فرغَ الصَّدر
إلّا من ضيقِه؛
وأنامل
تُلملم توتُّرها؛
وليل
مُلائمٌ للضياع.
أكانتْ مُحاولةَ
انعتاقٍ
من قيودِ الجسد؟
أمْ كانت ذريعةً
لإحكام القُيود؟
أمْ لأنّ الأسرَّة بلا ذاكرة
قرّرْتِ دفني
بسرير الذاكرة؟
...

ليلٌ
يَخْتَلِسُ فرحة
كانت تَسْبِقُني إليك؛
يتثاءبُ
كحبرٍ عقيم
ويغفو في الوريد.
...

لا شيءَ
يَشِعُّ من ثقب جدارٍ
انتصبَ بيننا.
ولا شيءَ
يحْفَظُ لنا
صِدْقَ الرّعشات.
...

مصباحٌ خافتٌ
كبوحٍ مُسْتَعْصٍ
يستفزُّ
طلقاتٍ طائشةً
من فم امرأةٍ
تتحرَّرُ من جلدي
وتمضي
حُرّةً منك.
...

نورسةٌ
أحمل ذاكرةَ السُّفن
وأنطوي كمحارة
على سرِّ المِلح
وتتقاذفُني المَرافئ
كلّما تسرّب في الشريان
شُعاع منار.
...

أُعَبِّئُ حلمي
في المرايا
كيْ أهتدي إلى ملامحه
وسط الزّحام،
وأفُضُّ الكلام
من دبابيسه،
علّ الكلام يُحلّق بي
حيث
يعانقُ الحسُّ معناه.
...

أغمضُ العينين
لأبْصِر حدائقَ الرّوح،
علّ الرّوح
تستحيلُ ندًى،
والقلبَ
خفقانَ وردة.
...

أيُّها العابثُ بي
في ارتجال،
تتفتحُّ الورودُ
من شَغَفِها بالسّؤال؛
تجَفُّ
وما بَزَغَ السّؤال.
...

تعلّمْ
كي تحبَّ
أن تحتضرَ قليلًا.
...

ذهبْنا
أبْعَدَ من الحب
حيث تبدأُ
اللّامبالاة.
أتبَعُ ماءكَ
في تدفُّقِه
نحو الغد.
وكالرّيح
أُعِيدُ اختراعَ اللمس.

أنْحَني
أتعثّر
أتبعْثر
أتكسّر
أتوطّد
أنهض
أستقيم
أعشقُ انعكاس
ذاكرتي
على سطح الماء.
...

كلّما خطَوْنا
خُطوة إلى الخلف
سبقْتُ حَتْفِي
إليك.
...

أزْرَعُ المسافات
تفّاحًا
لأنْضج في الغياب.
...

التقينا صُدفةً
أحبَبْنا صُدفةً
وهذا الوجَعُ
الّذي يتسرَّبُ
إلى حقائبَ مُتعبة
على رصيف القَرار
نُطْفَةً
سقطَتْ صُدفةً
في رحِمِ العِناد.
...

خُذْني.
خُذْني
إلى نهاية أُخرى
حيث الصُّدفُ مواعيد.

ياسين عدنان
ولد سنة ١٩٧٠. حاصل على إجازة في الآداب الانكليزية. شاعر وقصّاص. له أربعة دواوين: **مانيكان، رصيف القيامة، لا أكاد أرى، دفتر العابر.** النص هنا مقطعٌ من الديوان الأخير

على الساحل اللازوردي

على الساحل اللّازَوَرْدي[١]
كانت أمواجُ العشيِّ تُربِّت في دَعةٍ على كتف البُرْج
لكيلا ينام قبيل الغروب
ويدُسَّ مصابيحَه تحت سَرْجِ الغياب.
وأنت هنا ترقبُ الأفْقَ مستغربًا
كيف يقطفُ صخرُ الشواطئ غَدْرًا زهورَ العُباب.

كأنك من شرفتك
في لاناپول Le Château de la Napoule
من الشُّرفة القُوطيّة
تحرس نوْمَ الرِّيڤيرا[٢] من قراصنةٍ يكمَنون
في أرَقِ الموج؛
تحرسُ أحلامَها
وتقلُّبَها في حرير الميموزا
من غُيوم الجبال؛
كأنَّكَ سوف تُراجِعُ فجرًا ألوانَ الطفولة
كي ترْتِقَ الفتْقَ في جُبَّة الضوء،
وكي تفهم الفرْقَ
بين شُحوبِ السماء
وعافيةِ اللازَوَرْد.

كأنَّكَ أحمرُ
لعلَّك أخضرُ
لكَمْ أنتَ أزْرَقُ أزرق[٣]
يا أيُّها اللازَوَرْد!

---

(١) La Côte d'Azur.

(٢) الريڤيرا الفرنسيّة: جنوب شرق فرنسا على البحر الأبيض المتوسّط.

(٣) أزرق: صافٍ (ماء أزرق: صافٍ. رواه ابنُ الأعرابيّ).

على الساحل اللازوردي
تذكرتُ أنّيَ حارسُ هذا الفراغِ العظيم
من النوم
ومن خَبَل العاصفة.
عليَّ إذن أن أخبِّئَ أضْغاثَ روحي بعيدًا
عن فتنة الجنيّات،
وعن العاطفة.

فَلِبِضْعِ ليالٍ
سأبقى وحيدًا هنا
مُظلمًا
أحرُسُ البرج.
لا وميضُ الفنارات يشعلُ ضوءًا بقلبي
ولا قمرٌ في مرايا النشيدْ.
وحدَهُ شبحٌ غامضٌ هَبَّ كالريح من جهةِ المقبرة
آنَسَ سُهْدِي قليلا
وأرْشدَني، خِلْسةً، لجِرَار النَّبيذْ.

نحنُ في مارس الآن. قضيْتُ في القلعة شهرًا أو أقلَّ قليلا
الأيامُ موْجٌ يتقلَّبُ في روحي
وأنا لا أحدُسُ من يومي أوهامَ غدي.
أيّ حياةٍ ستعيشُ غدًا يا حارس هذا البرج:
ضجر الشاعرِ في زمَنِ الحرب؟
تَرَف الضيف؟
شَظف النُّوتيِّ المقهورْ؟
رِضا الناجي من معركةٍ حاميةِ الوَطيسِ
أمْ إحساسًا معطُوبًا بالنَّصر:
إحساسَ الكُونْتِ المغرورْ؟

أفتحُ الشُّرُفات ضُحًى.
أطِلُّ فتنهشُ نظراتُ السيّاح فطائِرَ صحْوي.
كأني أُشرِف من زمنٍ آخر.
كأنّ هيلين، وهي تحكي قصة القلعةِ للسُّياح،
نسِيَتْ بابًا لم تُوصِدْهُ،
وها بطلٌ من الزمن الغابر يَستدْرِكُ فصلًا لا يُرْوى.

في قاعة الأكل القُوطيّة ذاتِ السَّقف الشاهق
كنتُ أدَنْدِنُ في الركن، والبنتُ تُحدِّث شِلَّتَها
عن حفلات الماضي،
عن مآدِبَ حضَرتْها العُلِّيَّةُ في هذي القاعة
الميْدَةُ[٤]
نحتٌ عبقريُّ الزخرف من حجر مسْنُون؛
والتماثيلُ لأهل القلعة
وضيوفٍ نُبلاء
يشربون نبيذَ الدَّيْرِ وُقوفًا
مُستغْنِين
بما في الدِّنانِ
عن الطيِّبات.

التماثيلُ
سَكْرى.
التماثيل السَّكرى تتمايلُ ثابتةً.
والسيّاح يطوفون عليهم خُدَّامًا من زمنٍ آخرَ.
لكنّ الرّوائحَ تسكنُ، حتى الساعة، لحْمَ المائدةِ الصَّخْريّ
وتَسْري في عَظْمِ الجُدْران:[٥]
«أغمضي عينيكِ. دعيها ـ الروائحَ ـ تنفذُ من هذي الجدران إليكِ.
كأنّا معهم في المحْفِل، وقريبًا يأتي خَدَمُ القلعة بالأطباق.»
قال الأمريكيُّ الكهْلُ لرفيقته السَّمْراء. فضحِكْتُ.
كانت ليزا، القَهْرَمانةُ، تُهيّئ في المطبخ صينيةَ ديكٍ حبشيٍّ
بالشمبانيا،
وأنا أتسلّى بمُرافقَةِ السياح مُنتظِرًا مَدَّ السُّفْرَة.
والأمريكيّة البلهاء أغمَضَتْ عينيها: «فعلًا فعلًا،» كانت تهمس
في خَدَرٍ وهي تَلْمُظُ.
يا ليزُ
ما أخبارُ الحبشي؟ سألتُ.
دقائقَ تُنهي هيلينُ الجولةَ
وأعِدُّ الطماطم بالموزاريلا وأناديكِ.
يا ليزا
سيحكي السُّياحُ بعُجْبٍ عن مآدبَ غابرة تسكن عظْمَ الخوانِ
القوطي
فيما نحن نُمَصْمِصُ في لؤمٍ
عظامَ الديكْ؟

كنّا نحفرُ في صخر القلعة جُرْحًا أبيض
من ظلٍّ وحَنينٍ
ونغنّي إذ نسكَرُ
لكنّا نعرفُ كيف نعود إلى الصَّحْوِ
لنحرُسَ أشباحَ القلعة.

---

(٤) قال الجرمي: يقال مائدة ومَيْدَة.

(٥) في التنزيل: ﴿فخلقنا المُضغة عظامًا فكسونا العظامَ لحمًا﴾. ويُقرأ: ﴿فكسونا العظم لحمًا﴾. قال الأزهري: «التوحيد والجمع هنا جائزان».

شارع المهدي بن بركة ثانية

إدريس علّوش
شاعر من مواليد أصيلة عام ١٩٦٤.
من إصداراته ديوانان: **الطفل الجريّ**، **ودفتر الموتى**.

(١)
وتمرّينَ يا أقدامي
مُتربة كحذاءٍ
والشارعُ مُثقلٌ
بشاراتِ الأحلامِ
وانْصرافِ الخطواتِ
إلى مجْهولِ الفجيعةِ.
والمشهدُ سرابيٌّ
ينشدُ سماءً تَعلو،
يَسْتفسر الغدَ
عن سرِّ الغيَّابِ الذي طالَ.
نِصْفُ قرنٍ
وما اهْتَدى الورَّاقُ
لِحفيفِ الحقيقةِ؛
كلُّ ما سَمِعْناهُ لَمْ يكن
سِوى حَواشي رمادٍ.

أجْهشَ بدمعِ الجريدِ
وجمْرة حبرٍ
لم تُلقِ بَعدُ بِضِلالِها
في حَفْنةِ ماءٍ..

(٢)
أَحْلمُ بمشاةٍ
يحثُّونَ النَّجمةَ والمدار
على المضيِّ قُدمًا
في اتجاه رحابةِ أُفقٍ
اهْتداهُ المهدي
شُرفاتٍ
وفراشاتٍ
ما همَّ إن اسْتراحَت ساقيةُ التاريخِ
لَحْظةً
أو استدارتْ جِهة الفيءِ
ليسْتدركَ الشُّهداء
والحالمينَ بحبّاتِ الحصى
مَسالكَ «طريقِ الوحْدَةِ»
وحَفاوة «أنوال»
وظَهيرةِ الطريقِ...

(٣)
هُمْ قتَلَةٌ
كَانوا هُناك - هَؤلاء -
لا أَحدَ يعرفُهم أوْ ينساهُم

لكنَّهم لم يكونوا مجهولين تمامًا
تسترُّوا – هكذا - في قُفازات مِهَنٍ
بنياشينَ مُثْقلةٍ بالدَّمِ
وأخْرى بالصدإ
قادِمينَ منْ نَصْل المذْبحةِ
ومنْ شَفرات لغَزْلٍ محبوكٍ بفنِّ الدِّراية
قَتَلة بمِسدساتٍ كَاتمةٍ للصَّوْتِ
لا الروُّح
والضَّوءِ
والغَسَقِ
وَرَشْحِ الصباحْ..

(٤)

ما اخْتلفنا
حوْل حَجر الأساسِ
وسِرِّ الشّاهِدةِ
ورائحةِ الترابِ
وما اخْتلفنَا
حَوْلَ يدٍ ظلَّتْ دومًا
تتحَسّسُ خَفقانَ البوصلةِ شِراعًا
وسمفونيّةً لِيسارِ القَلْبِ
والحُلُمِ المشْتهى
- كانتْ يَدُكَ-
خَلْفَ السِتارِ
وسراديبِ العَتَمةِ
ظلَّ أكْثرَ مِنْ خُفاشٍ
يَنْفض فَرْوَهُ لتغيبَ الحقيقةُ
عَن أشِّعةِ الشَّمْسِ.
نِصْفُ قَرْنٍ- إذنْ-
والسّاعةُ تَبْحثُ عن عَقاربها
وعَنْ جَدلِ حضورٍ
آسرٍ لمعْنى الغيابْ..

(٥)

إخالُ
فِنْجانَ قَهْوتكَ
مَليئًا برشْفةِ الشَّكِّ
ودمعةِ اليقينِ
يُشيرُ إلى فانوسِ الحِكْمةِ
وسَرْدِ الحِكايةِ
«جيلًا بَعْدَ جيلٍ»
هل كان السيناريو
يستدعي أن يتسامرَ
إخْوة يوسُف والذِّئْبَ
كلَّ هذا الوقْتِ
على حافَةِ البئر كُلَّ العُمْر
علَّ القميصَ يَنفضُ عَنْهُ بقَعَ الدَّم
وتقاسيم الجريمةِ
والسينما..

(٦)

هذا الشَّهيد الشّاهدُ
أكْبرُ مِن كَفنٍ
ومِنْ سعَة البياضِ
والشّاهِدة؛
فكلُّ ذَرّاتِ الأرضِ احْتفتْ بِهِ
وبكِمْياءِ الخَطواتِ والمسير.
لا أحدَ صَدَّقَ
حَفيفَ أحْذيةِ العَسسِ والعَسْكر والوُشاةِ
ورواة خَبرٍ يَحْتمل الكذِب أولًا.
لا أحد اسْتبْعَدَ بزَّةَ الجنرال
وأكْثر مِنْ آثِمٍ
وتجاعيدِ الخوذاتِ.
لم نَعُد نَحتاجُ الآنَ
عَدا حقيقةٍ تُذيبُ الثَّلْجَ
والصَّمْغ والشَّمْع الأحْمر
ونَفْضِ الغُبارِ
وما ظلَّ في جُيوبِ الحقيبةِ
مِنْ شَكٍّ
يُعيدُ مَجْدَ الولادَةِ
لأوْراقٍ في أُفُقٍ
تَأْبى الأُفولْ.

حُلْم بشكلٍ عكسيّ

جمال الموساوي
مواليد ١٩٧٠. شاعر وصحفي.
مجاز في العلوم الاقتصادية. له عدة
مجموعات شعريّة.

كأنّه يشبه الخوف.
كأنّه يبعث على القلق،
أو على غثيانٍ مفاجئ.

كأنّه ليس الحلم ذاته،
كأنّ هذا المساء لا يعنيه،
كأنّني قادمٌ من شجرةٍ غامضة،
ليست شجرةَ الميلاد البعيدة،
أو كأنني أحلمُ بشكلٍ عكسيّ.

كما لو كنتُ على أهبة الإقلاع،
أرى عوالمَ أخرى تتزاحم،
أطيافًا عديدةً بمناكبَ واسعة
وأراجيحَ لا تكلّ.

الشكّ نشيدي الجديد القديم
شجرةٌ تجمع ما لا يلتئمْ
وتصغي للرياح التي تهبّ،
وتفتح أبوابَ اللغة على التأمّل.

أقولُ لي:
خرجتُ منك إلى الحياة
ودلفتَ إليّ في معترك حاشد
حيث الأحلامُ طريقٌ سهلة
وحيث مركبي في اللجج غضبٌ أزرق.

أقولُ لي:
لستُ صاحبَك المجنون بالألفة
ولا عاشقَ الأرق المزمن،
أقهرُ الليل بالسهر
على احتضان الأسئلة.
ففي المكان الأقسى،
على هاوية الروح،
على بُعد دمعةٍ من العزلة،
ينتشي الحزنُ ويتجمهر.

الآتي أكثرُ بلاهة.
هو كذلك،
أو أنني، ربّما، مخطئ في التقدير،
أو أنّ عيني ليست ثاقبةً بما يكفي
كي أراني
في مفترقٍ بعيد.

الخيبة ردائي الرثّ
الأملُ ليس صديقًا حميمًا،
وكلُّ خطاياي
أنّ العالم أصغرُ ممّا تصوّرتُ
وأنّ الناس كما هم:
يصنعون سكينتَهم ممّا أحسبه قلقي.

فتنة العبور

كمال أخلاقي
شاعر مغربيّ، من مواليد ١٩٧٠.
صدر له: **أكثر من جبل** (جائزة بيت الشعر في المغرب ٢٠٠٣)، **وإشراقات الأبد** (٢٠٠٩). يصدر له قريبًا ديوان بعنوان: **هتاف الغياب**.

كأنّي أعْبرُ إلى سماءٍ بعيدةٍ
يغْسلني غبارٌ فأضيء طريقي.
ممرٌّ صاخبٌ بالخوف كالإغماءة،
فصولٌ تميلُ نائمةً،
وأخرى تجرحُ عُزلَتي بصباحاتها.
أمشي بمحاذاة أشجارٍ وماءٍ
وكُلّما أعلنتُ عطشي جفّتْ آبارٌ في الحلقِ.
أمشي إلى ظلال أشدّ زرقةً
لعلّي أشارفُ إشراقًا به أهتدي.
يدي غماماتٌ تسيلُ،
إشاراتٌ لما قدْ يحدثُ من خرابٍ لن ينتبه إليه أحدٌ سوايْ.
نصيبي فادحٌ من هذا التأمّل الرتيب:
لا ينتهي به ليل،
وليست تمحوه طريق.

بملءِ ما في الروح من تعب،
بكلّ ما تبقّى إذنْ،
سأعْبر إلى حيث أريد،
جاعلًا الحواسَّ على أهبةِ الحريق،
حيث نبيذُ الحنين جارف
كما في تلك الأنهار التي ما عدتُ أذكرُها.
هناك،
في فتنة العبور إلى الوله المضيء،
أعشاشٌ لم تبرحْ دفئها الحياة؛
خيالاتٌ تفيضُ بالطفولة
على مرأى من هذا الضجر المتساقط
في ليلٍ تئنّ فيه أوجاعُ الصمت الزرقاء.

ها قد وصلت
لا شيء يدلّ عليّ!
أخافُ أن أرى أمامي هذا الحارسَ الذي يشبهني
ما الطريقُ إليّ؟

أعرني صورتَكَ كي أتهجّى هذا الموت قليلا
رأفةً بي،
رأفةً بالقادمين إلى هذا الحجّ اللاهب،
رأفةً بالصعاليك ورواة الندم والواقفين
على الأبواب في حضرةِ الأقدار المحبوكةِ
بضربات اليأس،
بالحديدِ الطاعن في الجرح يقدّد لحمَ الخرافة،
ويبدّد الدمَ على أدراج الغياب.
أعرّني ما أحضنُ به جذورَ الخلاء،
رفرفةَ الطير الرشيقة،
كي أدوّنَ سيرةَ الفضاء الشاسع.
قليلٌ هذا الذي يبقى
بعد تفسّخ الماء إلى رنين مختوم
بمجاهل الأبد
ولا شيء يدلّ عليّ.

عبد اللطيف الوراري
شاعر وناقد من المغرب. له في الشعر: **لماذا أشهدتِ عليّ وعد السحاب؟** (٢٠٠٥)، **وما يُشبه نايًا على آثارها** (٢٠٠٧)، **وترياق** (٢٠٠٩). وله في النقد: **تحوُّلات المعنى في الشعر العربيّ** (٢٠٠٩)، **ونقد الإيقاع: في مفهوم الإيقاع وتعبيراته الجماليّة وآليات تلقّيه عند العرب** (٢٠١١).

قَبْل هذا التّاريخ

(إلى نازك الملائكة)

إذا أوْحى لنا المِصْراعان ـ
قبل أنْ نأتي زاهِدين
في حُبّ آخرين ـ
بشيْءٍ،
فها هُوَ:
يتلوّى حُرًّا
يلتَهِم،
ولا يشكُّ بنَهْرٍ لا مندوحة منه،
فإنّ ذلك ما يحْدُث غالبًا.
لِنَدعْ هذا..
هناك الرّيحُ؛
ما الذي يجعلُنا نتأذّى من الحفيف،
ونظلُّ نهْتِف بالحشائش
ونلوِّح بأغاني الدهْر؟
هلْ نسيتُمْ
أنّا نراكُمْ في المرآة
تُلْقمون اللّيْل حيتانًا
كمثل بحّارةٍ سيقُوا عَزْفًا،
بيْنَما الأمواجُ تتضوّر؟
هُناك الرّيح، إذن.
نشربها من مياهٍ رماديّة
ولا نَثِقُ في دم الحكمة.
بوسعنا، لغايةٍ أخرى،
أنْ نُتْلف السيقان
لأنّ نارًا كهذه لا تهُمّ.
أيّتُها القرارة
ماذا تبقّى من صرعى الكوليرا،
ومن صور اللّائي ارتطمْن بالشُّرفة السحيقة؟
إنني لا أرى موْجًا،
ولا لَيْلًا كالموج يُؤْمن.
لا أرى غيرَ وَجْهٍ يطوف به
آلٌ أشقياء
فأسمعُ من القيعان
مَنْ يقولُ لي:
مُتْ إلى غد
حيْثُ الحصادُ تُباركهُ الملائكة!
أيّتُها القرارةُ
جرحَتْك الألسنة
جرحَتْك أجْنحةُ الماء
جرحَتْك أطرافُ منْ عبروا
بِشَهْوتهِمْ
دَمَ الفجاج
بِماذا أُواسيك:
بالأثر
أمْ
بالصّدى؟

الأبديّة أصغرُ من جسدين

عبد الجواد العوفير

شاعر و مترجم. وُلد في الرباط عام ١٩٨٠. صدر له: **راعي الفراغ** (٢٠١٠) ترجم مجموعة من الشعراء. يعمل على إعداد أنطولوجيا الهايكو اليابانيّ الجديد. تُرجمت قصائدُه إلى الفرنسية وستصدر في باريس قريبًا.

(١)

وها نحن نفعل الحب
تحت أغطية الخريف،
نتكوّر مثل نعامٍ مجنونٍ وخجول،
نعلو؛
في علوّنا نرى الغابات
والممالك.
نعلو أكثرَ من نوافذ تراقبُ المشهدَ
في احتشام،
أكثرَ من مَراكب تنظر نحو السحب،
أكثرَ من بحّارٍ أتعبتْه الحانات.

(٢)

يا نوافذ،
يا مَن تتخيّلُ البحر
وتُلقي التحايا على العابرين الحزانى.
أيّتها الخجولةُ والمنفتحة
كامرأةٍ مسنّة؛
سنراقبكِ ونحن نتكوّر ونعلو،
سنشفق على وحدتكِ في لهاثنا،
سنلهث في وجهكِ بلا خجل.

(٣)

الجسد تتكوّر فوقه الشمس.

(٤)

هذا الصباح لن ننتهي من الحبّ؛
سيخترعُ الجسدُ ذكرياته،
وسينساها في الغد.
سنقول إنّ كلّ الممالك زرناها
وإنّ الأبديّة محضُ صدفة.
سنقول إنّ الأجساد صُدَف صغيرةٌ
مزيّنة.

(٥)

أيّتها الأبديّة كم أنت صغيرة!
لماذا عيناك تبرقان في الليل كقطّة؟
سنمسكك ونعلو بك
إلى ما هو أعلى منك.

(٦)

كم الجسد أعمى وراءٍ!
كم هو جميل كإلهٍ في أواخر أيامه!
كم من ملائكةٍ ستزوره،
وكم من سماءٍ ستبرق منه!

(٧)

من الوحشة تطلع نمور.

(٨)

أيها الخريفُ الطيّبُ كساعة حائط
دُسّ على العشب الخفيف الذي تخلّفه
الروح.